

أطروحة دكتوراه

تنفض الغبار التاريخية عن قبور دهلك الحضارية

بقلم: د. أحمد حسن دحلي



دكتور تاج الدين

نال الباحث والشاعر والفنان التشكيلي تاج الدين نور الدائم يوسف البحري في نوفمبر 2012 درجة الدكتوراه من جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ( كلية الدراسات العليا ) عن بحث علمي تاريخي فني قيم حول " المصادر المؤرخة للخطوط اللينة ( النسخ والتلث ) - نقوش جزيرة دهلك نموذجا - . فاذا كانت الدراسات التي تنفض غبار التاريخ عن الكنوز الحضارية التي يزخر بها أرخبيل دهلك نادرة جدا، فان رسائل الماجستير والدكتوراه أندر، فما بالك بالكتب شبه المعدومة، اللهم الدراسة اليتيمة عن " النقوش الكتابية في جزيرة دهلك " للباحث الفرنسي رينيه باسية والتي صدرت في عام 1893. ومن هنا تكتسب أطروحة الكاتب تاج الدين أهمية خاصة لكونها تسلط الضوء على حقل دراسة واسع وشاسع وخصب وبكر أيضا، وسيكون أو بالأحرى نأمل أن يكون مقدمة علمية رصينة تعيد طريق إعداد الأبحاث والكتب والدراسات والرسائل الجامعية لطلاب الدراسات العليا وللباحثين والكتاب الارتريين وغيرهم في سائر أرجاء المعمورة، بحكم إن الآثار التاريخية الدهلكية صحيح انها تعني ارتريا في المقام الأول، ولكنها وبالتأكيد غير

قاصرة عليها، لأن أرخبيل دهلك لا يظل يحتفظ بأسرار جزء مهم ومقدر من تاريخ الإنسانية قبل وبعد شق قناة السويس في عام 1869، حيث كان بمثابة بوتقة تلاقحت وانصهرت فيه الحضارات الشرقية والغربية بكل أبعادها.

ويتحدث الباحث عن النقوش الكتابية قائلا " تعد النقوش الكتابية القديمة المهمة التي تنقل صورة موثقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات القديمة، فهي وعاء لحمل الثقافات والحضارات والعلوم والفنون المختلفة عبر العصور المتعاقبة." ولقد ركز تاج الدين دراسته على 22 عينة للنقوش الكتابية الدهلكية محددًا وعلى التوالي القياس والخامة والنوع والخط والتاريخ، مبنيا تصميم بحثه على الفرضيات الخمس التالية:

- 1 - " إن نقوش جزيرة دهلك المخطوطة بالحروف اللينة ( النسخ والتلث ) هي احد المصادر التي يمكن أن يؤرخ بها لهذين الخطين بناءا على التاريخ المثبت عليها .
  - 2 - نقوش جزيرة دهلك تمثل أعمالا فنية في تنوع تصميم حروفها العربية ، وصور التعامل مع الخامات التي تم التنفيذ عليها ، كما تعد لمحة مبكرة لفلسفة المزوجة التيبوغرافية وإبراز دلالة المعنى للمفردات في التصميم .
  - 3 - النقوش على شواهد القبور المشار إليها كأحد المراجع لظهور الخط اللين ( النسخ والتلث ) أصلها من دهلك.
  - 4- إن هنالك حروف لغات أخرى أثرت في تصميم الحرف العربي في احد مراحلها في جزيرة دهلك، مثل حروف الجنز أو قلم المسند الذي يكتب بحروف غير عربية .
  - 5- الخطاطون الذين نقشوا أسماءهم على شواهد القبور المنتمية لجزيرة دهلك ربما كانوا في الجزيرة عينها. "
- وتوصل الكاتب بعد بحث طويل وعميق وتمحيص شاق وشيق في ذات الآن الى:

- 1 - " إن شواهد القبور التي عرّفها الباحث بنقوش دهلك المتواجدة في مختلف أنحاء العالم تعود لحقبة زمنية واحدة ، ومصدرها جزيرة دهلك .
- 2 - إن الخامة ( نوع الحجارة ) التي تم النقش عليها بمختلف أنواعها كانت تجلب من منطقة أم كله ( 1 ) قرب مدينة مصوع على البر الارترى ، وأخرى من الجزيرة أو من الطين المتواجد في أوديتها
- 3 - إن الخطوط اللينة في نقوش دهلك تطورت من حروف الخط الكوفي ، متدرجة من بدايات اللين إلى مزج اللين واليابس إلى الحروف اللينة .
- 4 - إن النقشيين المشار إليهما في الوثائق المؤرخ بها للخطوط اللينة والموجودان في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة أصلهما من دهلك وقد اشار إليهما جيوفاني اومان ( 1976 ) .
- 5 - إن جميع نقوش دهلك المكتوبة بالخطوط اللينة تقع في الفترة التي يؤرخ بها للخطوط اللينة .
- 6 - إن نقوش دهلك المكتوبة بالخطوط اللينة تعتبر مصادر مؤرخة للخطوط اللينة التي يؤرخ بها بعهود الدول وتطور الخطوط فيها وهي ، العهد الأموى ( 41 - 132 هـ / 661 - 749 م ) و العهد العباسي ( 132 - 656 هـ / 750 - 1258 م ) ثم الدولة الفاطمية العصر الطولونية ( 254-292 هـ / 868-905 م وأخيرا العهد العثماني ( 699 - 1343 هـ / 1299 - 1924 م ) وتنحصر نقوش دهلك في الفترة بين بين ( منتصف ذي القعدة سنة 421 هـ الموافق 2 مارس 1021 م و 16 شوال 946 هـ الموافق 24-2-1540م ) ( تاريخ الدولة الإسلامية )

- 7 – إن نقوش دهلك بتكوينها المتطابق بصريا مع نقوش اللغات التي سادت قبلها ( الجزية واليونانية و السبئية ) تُعد بدايةً ومثالاً لما يعرف الآن بالمزاوجة التيبوغرافية ، وهي تصميم حرف عربي يتطابق بصريا مع حرف لاتيني .
- 8 – إن نقوش دهلك بتصميمها المميز الذي يشتمل على أكثر من خط في نقش واحد ، وتكبير بعض المفردات فيه للتدليل على أهميتها في النص ، يشكل أول ابتكار بناء قواعد لدلالات المضمون في التكوينات الخطية وهو احد أسس التصميم الغرافيكي .
- 9 – إن حروف المسند المشابهة للحروف الحبشية القديمة والمتساوية معها عددا ( 29 ) حرفا

هي ذات الحروف الحبشية وان الحرف الزائد بين ( ث و ط ) لا يوجد إلا في اللسان الحبشي ويصعب نطقه على لألسن الأخرى . وان النصوص المكتوبة بالمسند تقرا مفرداتها بأصوات غير عربية ولا تعبر عن اللغة العربية نطقا مما يجعل نظرية جزم الحرف العربي من حرف المسند أمرا يصعب التحقق من صحته .

10 – إن النقوش المتواجدة في الجزيرة و في أنحاء العالم ، التي تؤكد انتمائها لدهلك هي مؤشر على حضارة كانت المنطقة مهداً لها ، مما يغلب الرأي القائل إن نقوش دهلك كانت تكتب بها ."

ولقد اثبت الباحث تاج الدين أبان زيارته الميدانية ورحلاته العلمية وبالصور الموثقة، بأن تحفا أثرية خطية دهلكية الأصل توجد معروضة حاليا في المتاحف السودانية والمصرية والفرنسية والبريطانية، وما خفي أعظم. وعلى كل حال، فان الدراسات العلمية والفنية والحفريات التنقيبية لا تقوم فقط بتسليط الأضواء على جوانب حضارية ارترية، ولكنها تساعد الدولة على استعادة كنوزها التاريخية والحضارية المكونة لذاكرتها الجماعية. والمهمة الكبيرة، في هذا الصدد، التي تقع على عاتق المتحف الوطني الارتري ضمن مهامه العديدة الأخرى، تكمن في إعداد دراسة عن التحف الأثرية الارترية المعروضة في المتاحف الدولية، لكي تعود في

خاتمة المطاف إلى موطنها الأصلي، أي ارتريا، وتأخذ موقعها التاريخي في المتحف الوطني الارتري.

بقى التنبيه إلى أننا سنقوم بنشر أطروحة الباحث تاج الدين على حلقات ابتداء من الأسبوع المقبل، وذلك لقيمة البحث وبغية تعميم الفائدة.

1 - أم كلو وليس أم كله كما ورد في الاطروحة. وأم كلو تعني بلغة التجري أم الجميع.